محاضرات مناهج البحث الأدبي ماستر 01

تطبيق البحث البنيوي

كمال أبوديب من خلال كتابه جدلية الخفاء والتجلّي / دراسات بنيوية في الشعر: كمال أبو ديب، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان ط 2/ 1981

يحاول كما أبو ديب تأسيس منهج بنيوي متكامل يتم من خلاله دراسة الشعر العربي

يهدف من خلال الكتاب (إلى اكتناه جدلية الخفاء والتجلّي وأسرار البنية العميقة وتحولاتها، إلى فكر بنيوي لا يقنع بإدراك الظواهر المعزولة ، بل يطمح إلى تحديد المكونات الأساسية للظواهر – في الثقافة والمجتمع والشعر– ثم اقتناص شبكة العلاقات ثم إلى البحث عن التحولات الجوهرية للبنية التي تنشأ عبرها تجسيدات جديدة لا يمكن أن تفهم إلاّ عن طريق ربطها بالبنية الأساسية وإعادتها إليها .

1– اكتناه جدلية الخفاء والتجلّي، أي كشف العلاقة المتفاعلة القائمة بين داخل الظاهرة وخارجها، مع النظر إلى أن الداخل الغائب لا ينفصل عن الخارج الحاضر .

2– البنية العميقة وتحولاتها. فالبنية العميقة (Structure profonde) هي البنية المجردة والضمنية الموجودة داخل الذهن الإنساني، وتأتي تحولاتها لتشكّل البنية السطحيةStructure) (superficielle التي تظهر عبر تتابع الكلام والتي يغتني بها الفكر الإنساني .

إذ يشير إلى (ميل الفكر البشري إلى تشكيل الأنساق في كل إبداع له، وطغيان أنساق معينة دون أخرى على أنماط معينة) والنسق الذي رآه (أبو ديب) يطغى في كل نشاط فنّي هو النسق الثلاثي الذي وصفه بأنه (بنية ثابتة يتناولها العقل الإنساني في ثقافات متغايره أو أعمال فنّية متغايرة).

طرائق التحليل البنيوي التي استخدمها (أبو ديب) من خلال متابعته في تحليله نصّاً للشاعر العباسي (أبي نواس).

يهدف من خلال دراسته لاكتناه جدلية الخفاء والتجلي وأسرار البنية العميقة وتحولاتها طموحاً إلى فهم عدد محدد من النصوص أو الظواهر في الشعر والوجود، بل إلى أبعد من ذلك بكثير:

إلى تغيير الفكر العربي في معاينته للثقافة والإنسان والشعر، إلى نقله من فكر تطغى عليه الجزئية والسطحية والشخصانية إلى فكر يترعرع في مناخ الرؤية المعقدة، المتقصية الموضوعية والشمولية والجذرية في آن واحد..."

فأبو ديب لا يقف عند البنية اللغوية ذاتها ولكن يتجاوزها إلى البنية العميقة، إلى علاقة اللغة بالوجود. فبنية القصيدة " تجسيد لبنية الرؤيا الوجودية، بنية الثقافة والبنى الطبقية والبنى الاقتصا- سية، والبنى الفكر - نفسية في الثقافة"، على أن أبا ديب لا يتجاوز العلاقة بين الثنائيات في القصائد التي حللها لأبي نواس وأبي تمام وأدونيس وغيرهم. فهو يركز على ثنائية الحياة والموت في أبيات تميم ابن مقبل، وثنائية القيد والإطلاق، الحركة والسكون في أبيات أبي محجن، وثنائية الانغلاق والانتشار في مقطوعة عمر بن أبي ربيعة وغيرهم. ونأخذ هنا مثالاً تحليله لقصيدة أبي تمام التي مطلعها

رقت حواشي الدهر فهي تمرمر * وغدا الثرى في حليه يتكسر

يبدأ الباحث بالإشارة إلى صورة التحول التي تتنامى "من خلال سلسلة من الثنائيات الضدية أهمها: الزمن الماضي/ الزمن الحاضر، الانقطاع/ الاستمرارية، الأرض/ السماء، التربة/ الزارع. وتخترق هذه الثنائيات جميعاً ثنائية ضدية جوهرية في رؤيا القصيدة هي الطبيعة (الربيع)/ الإنسان (المعتصم) " وهو يقسم القصيدة إلى حركتين: الحركة الأولى وهي رؤية التحول الجوهري في الزمن عبر ثنائية الأرض/ السماء، الشتاء/ الربيع، المطر/ الصحو، الثرى/ السحاب.

وتبدأ الحركة الثانية بثنائية الله/ الوجود، فالله هو الذي حول الجفاف إلى خضرة. وثنائية المعتصم/ الرعية "فخلق الربيع هو خلق الإمام وقدرة الربيع على تحويل الطبيعة هي قدرة الإمام إضاءة الوجود وتحويل البلاد إلى زمن خصب"

إن بنية القصيدة حصيلة حركتين: "الأولى هي حركة التكامل والتناغم التي تؤسس بين سلاسل الثنائيات الضدية عبر القصيدة، والثنائية هي حركة التكامل والتناغم بين علاقتي التشابه

والتضاد وسلسلة التشابهات والتضادات الجوهرية بين ذات الربيع الزمن الطبيعي الذي يتخلله من جهة، والمعتصم والزمن التاريخي من جهة أخرى"

ويتناول الباحث الحقول الدلالية في الحركتين فيرى أن الأولى تتكون من أفعال التحول والتغير والتشابك والتداخل والثانية تتألف من أفعال الثبات والديمومة.

ويظهر هذا من خلال طغيان الجملة الاسمية في القصيدة والفعل المضارع بدلالته على الحاضر والثابت. ويربط دلالة القصيدة من خلال علاقات التشابه والتضاد بالعناصر اللغوية: الاستعارة والطباق والجناس وغيرها. على أنه يهمل تحليل الصورة، كما يهمل إيقاع القصيدة. وتحليله لهذه القصيدة لا يكاد يختلف عن تحليله لقصيدة لبيد بن ربيعة. فهو يهتم بالعناصر المكونة للقصيدة والحقل الدلالي الذي تنتمي إليه ويبحث في العلاقات القائمة بينها ليصل إلى البنية العميقة أو الدلالة.

تطبيق البحث السيميائي:

حاول محمد مفتاح في كتابه تحليل الخطاب الشعري أن يؤسس لنظرية في قراءة النص الشعري وذلك باستحضار عديد من الآليات النقدية وبمستويات مختلفة ومنها آليات التحليل السيميائي والتحليل الاسلوبي والبلاغي، يقول مفتاح : "إنّ أيّ مدرسة لم تتوفّق إلى الآن في صياغة نظرية شاملة ،وإنّما كل ما نجده هو بعض المبادئ الجزئية والنسبيّة التي إذا أضاءت جوانب بقيت أخرى مظلمة "، غير أن هذا الكلام، يبقى مجرّد استباق خطابي يراد من ورائه إضفاء المشروعية على الهاجس الانتقائي والتركيبي الذي سيطغى على القسم النظري من الكتاب. لهذا نجده يبادر إلى تسويغ انتقائيته التركيبية بقوله: "إن الأخذ من نظريات مختلفة

يحتّم الانتقائية، ولكنّه لا يؤدي إلى التلفيقية بالضرورة، لأنّ آفة الانتقائية لا تصيب إلاّ من كان ساذجا مؤمنا إيمانا أعمى بما يقرأ "

اقترح محمد مفتاح آلية نقدية ذات طابع تعدديّ، ترمي إلى الإحاطة بالنص الشعريّ بعد تجميع كافة مستوياته وكوكبتها على شكل منظومة دينامية تخدم المغزى العام للنص. وتتألّف هذه المنظومة من مستويات: التباين والتشاكل، الصوت والمعنى، التركيب بشقيه النحوي والبلاغي، ثم التناص والتفاعل والمقصدية. وقبل البرهنة على حضور هذه المستويات في قصيدة ابن عبدون، بدأ الأستاذ مفتاح بمساءلة مجموعة من النظريات اللسانية الغربية المهتمة بالخطاب الشعري.

اختار قصيدة ابن عبدون، واستثمر في تحليله سميائيات (GREIMAS) حيث استخرج مربّعات (GREIMAS) ونظامه العامليّ ، وتجلى من خلال ظواهر التشاكل والتباين واللزوم والتعدي والتكرار ورتبة مكوّنات الجمل الشعرية مع إغفال بلاغة الحذف والذكر والفصل والوصل والتعريف والتنكير والإثبات والنفي والتقديم والتأخير، فضلا عن بلاغة التنويع في الجمل الاسمية والفعلية من حيث الحجم وطرق الربط فيما بينها.

أما بخصوص مقصدية ابن عبدون، فقد أخضعها الأستاذ مفتاح لمقاصد قراءته، التي لا تريد ابن عبدون إلا كاشفا عن عنف الدهر عبر استحضار تناصيّ يكون فيه صدى لمن سبقه من المؤرخين ممن أرّخو للأحداث والأساطير والحكايات الصالحة للاتعاظ وأخذ العبرة. ونظن أن تنصيص الأستاذ مفتاح على عنصر المقصدية في تحليله، فيه تعظيم لدور الوعي والإرادة في إنتاج المعنى الشعري. وبحديثه عن عنصر التفاعل يضعنا الأستاذ مفتاح في عمق نظريّة التلقي دون التصريح بذلك مباشرة.

تطبيق البحث الأسلوبي:

قسم الناقد فاتح علاق فصول كتابه "في تحليل الخطاب الشعري" الصادر عن دار التنوير إلى أربعة أقسام، القسم الأول منه خصصه لمدرسة خطابية متقاربة تشكلت من خلال

الرومنطقية، أو ما يسمى الرومانسية التي اقتطعت وسائلها من خلال الاحتكاك والتواصل مع الغرب فكرا ورؤى، ولكن بالاحتفاظ بذات اللون العربي، وتمثل ذلك في اختيار الدكتور علاق لنصوص كل من الشاعر المهجري أبي ماضي والأديب الداعي إلى التجديد وإعادة تجهيز الخطاب العربي، الرافعي، ووضع النموذجين في قسم واحد، قسمه هو الآخر إلى قسمين، مفهوم الشعر في ديوان أبي ماضي، وطبيعة الشعر في وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي.

يستعرض المؤلف بدايات الشعر عند أبي ماضي ويضع هذه البدايات في انتهاج نهج القدامى، أي أن أشعاره في بدايتها كانت تقليدية، حيث يقول المؤلف: " كان أبو ماضي في بداية حياته الشعرية شاعرا تقليديا"، وهذا ما جعله يتعرض لنقد مخائيل نعيمة الذي يرى في الشعر رؤية جديدة غير تلك التقليدية حيث يقول: "أريده – الشعر – أن يكشف لي مجاهل نفسي، آفاقا بعدها آفاق... أريده أن يزيد في ثروتي الروحية والجمالية...". وقد كان لهذا المفهوم الرومانسي في نفس أبي ماضي، حسب الدكتور فاتح علاق، صدى للتأمل في النفس ومنعطفا خرج على دنيا الناس بديوانه "الجداول"، ولهذا لم يعد الشعر عند أبي ماضي غرضا شعريا، بل إن الموضوع لا قيمة له في ذاته ولكن في علاقة الشاعر به، لقد أصبح الشعر عنده رؤية جديدة للأشياء وكشفا لعلاقات جديدة بينها.

أما الرافعي في وحي قلمه فالشعر عنده ليس محاكاة للواقع وإنما هو نظره خاصة إليه، والشعرية لا تكمن في الشيء ذاته ولكن في حقيقته وسره، والشعر عنده ليس مجرد معنى فحسب، بل معنى جميل أيضا. ويرى الدكتور علاق أن الشعر عند الرافعي قائم على أسس ثلاثة هي: الإدراك الخاص، التفاعل مع الأفكار وتحويل ذلك بطريقة فنية.

أما القسم الثاني الذي عنونه المؤلف بـ" في شعرية القصيدة"، فقد خصصه للشعر الثوري وشعر المتصوفة وربما هناك علاقة بينهما، الثورة الهادئة الباردة غير تلك المندفعة الهادرة، حيث رأى الدكتور علاق أن الشعر الثوري أداة من أدوات النضال في سبيل تحرير الوطن، فالثورة غاية يسعى الشعر لخدمتها، متلما وجده في شعر مفدي زكريا وديوانه "اللهب المقدس"،

فالشاعر بخور يحرق في صلوات وصولات الثورة وقربات لها، فكل الوسائل التي يستخدمها الشاعر مقدسة مادامت تخدم الغاية، فالشعر في حد ذاته سلاح يؤدي وظيفته في المعركة.

أما لغة الخطاب الصوفي فيراها فاتح علاق تختلف عن لغة الخطاب الديني، لأنها تقوم على رؤية خاصة للكون والمكون، فهي لغة ذاتية إبداعية تعكس إحساس صاحبها، إنها تعبر عن عالم مدهش تعجز عنه اللغة العادية لغة المعلوم، أما اللغة الصوفية فهي لغة المجهول، تتجاوز المألوف الى المدهش.

القسم الثالث من الكتاب يتناول فيه المؤلف تحليل الخطاب الشعري، ويتناول فيه موضوع "التحليل البنيوى للخطاب الشعري، التحليل الأسلوبي والتحليل السيميائي".

أما القسم الرابع فقد خصصه المؤلف لنصوص تطبيقية استدلالية على التحليلات المقدمة، فقد اختار نص "طريدة" لأحمد عبد المعطي حجازي، ونصا لمحمود درويش "ونحن نحب الحياة"، ليختتم كتابه بخلاصة جاء في نهايتها" "فهذه مقاربات لمفهومات ودراسات حاولت من خلالها أن أقدم رؤيتي لتحليل العمل الشعري وحاولت تجسيده في تناول نصين شعريين.

- **المنهج الاجتماعي:**

١ - يهتم هذا المنهج بدراسة العلاقة بين الأدب والمجتمع ، وهذه الدراسة قديمة إذ نجدها عند أرسطو وأفلاطون ، و لم يرض بعض الدارسين المحدثين بالآراء التي قال بها أفلاطون بالنسبة إلى الشعر.

٢ - أقام المفكر الإيطالي " فيكو " أول محاولة منظمة للربط بين أشكال التعبير الأدبي وطبيعة الواقع الاجتماعي وذلك في كتابه " مبادئ العلم الجديد. "

٣ - ثم جاءت بعده " مدام دي شتال " وألفت كتابها " تناغم الأدب مع المؤسسات الاجتماعية " واستعانت بآراء بعض الفلاسفة التي ترى أن الأعمال الأدبية تتغلغل في بيئة اجتماعية وجغرافية حيث تؤدي وظائف محددة بها.

٤ - يعد " تين " المؤسس الأول لعلم اجتماع الأدب حيث طور نظرية علمية كاملة للأدب وأخضع الأدب لثلاثة أمور هي : الجنس والزمان والمكان.

٥ - وقف بعض النقاد إزاء انعكاس الحياة الاجتماعية في الأدب والفن موقفا معارضا وعنيدا ورأوا أن زمن الأدب الذ ي يرتكز على عكس المتغيرات الاجتماعية والنفسية قد ولَى ، ورأى بعضهم أن الرواية الاجتماعية والنفسية فقدت حيويتها وقدرتها على الصمود في مواجهة الزمن.

٦ - يرى المناصرون لهذا الاتجاه أن على الفن وعلى الخصوص الفن الواقعي تقع مسؤولية كبيرة في أن يصبح العالم أكثر إشراقا وأعظم معرفة وجمالا وأن يميز بين الخير والشر وينتصر للخير.

٧ - ويرون كذلك أننا في حاجة ماسة لدراسة جميع جوانب المجتمع التاريخية والسباسية والاجتماعية والاقتصادية التي يعمل الفنان في ظلها.

٨ - ويرى بعضهم أننا يجب أن نتعامل مع الأدب بوصفه نظاما اجتماعيا ، وأن هناك علاقة كبيرة بين العمل الأدبي والواقع الاجتماعي من حيث التأثر والتأثير.

٩ - هذا المنهج الاجتماعي متمم للمناهج الأخرى وليس بديلا لها ، وهو يعين على منهج نقدي أدبي متكامل.

١٠ – اتجه هذا المنهج في الأغلب إلى دراسة الأعمال الروائية ، وهو يركز على محتوى الأعمال وقد لا يتعمق في دراسة العلاقات اللغوية المكونة للعمل الأدبي.

١١ – من أهم الكتب التي درست الشعر العربي القديم حسب هذا المنهج:

أ- مقالات في الشعر الجاهلي / يوسف اليوسف.

ب- بحوث في المعلقات / يوسف اليوسف.

ج- دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي / حسين مروة.

د- مدخل إلى الأدب الجاهلي / إلياس سركيس.

هـ- استشراف الشعر / بحث لصبري حافظ منشور في مجلة فصول.

- المنهج التاريخي.

٣ـ المنهـــج التـــاريخى

في مستهل الحديث عن المنهج التاريخى أحب أن أنبـه الى أن سائر المناهج في نقد النص أى المنهج النفسى والمتكامل لا تستغنى عن الأخذ بخطوات المنهج الفنى ، فما من نقد أو تحليل أو تفسير لعمل أدبى الا ويعتمد على الركيزتين الكبيرتين في المنهج الفنى وهمـا : القيم الشعورية والقيم التعبيرية ، لذلك كان المنهج الفنى أهم من سـواه في مجـال النقـد ٠

بل ان التذوق واصدار الحكم اللذين هما من أبرز خصائص المنهج الفنى لا يستغنى عنهما منهج من المناهج الأخرى ٠

والمنهج التاريخى في صورة مجملة يستهدف الأمور الآتية :

ـ التعرف على مدى تأثر النص الأدبى بالبيئة التى نبع منها وعلى مدى تأثيره في هذه البيئة ٠

ـ التعرف على تأثر الأديب بالوسط الذى عاش فيه وعلى مـدى تأثيره في هذا الوسط ٠

ـ التعرف على الأطوار التى مر بها فن من فنون الأدب ٠

ـ التعرف عـلى الآراء التى قيلت في نص أدبى أو في أديب من الأدباء ، للموازنة بين هذه الآراء ، والتعرف من خلال ذلك على خصائص عصر من العصور في مجالات التيارات السائدة فيه ٠

ـ التعرف على خصائص الأدب في أمة من الأمم ، لمعرفة الظروف التى أحاطت بهـا ٠

ـ التأكد من صحة النص ومن صـحة نسبته الى قائله ، ومعرفة الأطوار التى مر بها النص الأدبى من يوم كان مسـودة بقـلم صاحبه الى أن تعددت طبعاته مع معرفة التعديلات التى طرأت عليه في هذه الأطوار ٠

تلك صورة مجملة لأهداف المنهج التاريخى الذى يأخذ مع كل هـذا بخطوات المنهج الفنى ولا يستغنى عنها أو عن كثير منها بحـال من الأحـوال ٠

أما تفصيل الحديث عن المنهج التاريخى فيتطلب منا أن نتحدث فيه ـ على نحو ما صنعنا في المنهج الفنى ـ في النقاط التالية :

أولا :

التعرف على النص ٠

وهذا التعرف يتناول النقاط التالية :

١ ـ التأكد من صحة نسبة النص الى قائله ٠

٢ ـ التعرف على النص في صورته الكاملة دون تغيير أو تشويه أو نقص ٠

٣ ـ معرفة تاريخ النص ، تاريخ تأليفه ، وتاريخ التعـديلات التى أدخلت عليـه منذ أن كان مسـودة حتى آخر طبعـة من طبعـاته ٠

٤ ـ التعرف عـلى المعنى الحـرفي للنص ، وعـلى المعنى الأدبى للنص ٠ أى تحديد القيم اللفظية للنص والقيم الفـكرية والعاطفية فيه ٠

٥ ـ التعرف على حياة صـاحب النص وبيئته ، ومدى نجـاحه وتأثيره وتأثره بهذه البيئة ٠

ثانيـا :

التعرف على الأديب ٠

وذلك يتناول النقاط التالية :

١ ـ التعرف على انتاج الأديب بصورة عامة ٠

٢ ـ الجمع بين النصوص المتشابهة في الموضوع للأديب ٠

٣ ـ التعرف على الفنون المتعددة التى أنتج فيها الأديب ٠

٤ ـ التعرف على التيارات الفكرية والخلقية التى تميز هذا الأديب عن غيره من الأدباء ٠

٥ ـ التعرف على الوسط الذى عاش فيه الأديب وعلى مدى تأثره به وتأثيره فيه ٠

ثالثا :

التعرف على الآراء التى قيلت في العمل الأدبى وفي الأديب نفسه ٠

وذلك يتناول النقاط التالية :

١ ـ جمع الآراء النقدية التى أبديت في العمل الأدبى وفي الأديب والنظر فيها بدقة ٠

٢ ـ الموازنة بين هذه الآراء لمعرفة صورة دقيقة عن أثر هذا العمل الأدبى في النقاد وغيرهم ممن أبدوا حوله ملاحظات ٠

٣ ـ اتخاذ هذه الآراء وسيلة للاستدلال بها على نوع الفكر السائد في ذلك العصر الذى قيل فيه هذا الانتاج الأدبى ، لذاك الأديب ٠

٤ ـ اتخاذ هذه الآراء وسيلة للتعرف على خصائص الوسط الذى عاش فيه الأديب والجيل الذى عايشه ، بل والأمة التى ينتمى اليها ٠

٥ ـ اتخاذ هذه الآراء وسيلة للتعرف على خصائص الفن الأدبى الذى أنتجه الأديب ٠

رابعـــا :

التعرف على الأطوار التاريخية التى مر بها فن من الفنون الأدبية ٠

وذلك يتناول النقاط التالية :

١ ـ جمع النصـــوص التى قيلت في هـــذا الفن الـــذى نريد أن نتعرف على أطواره التاريخية ، جمعها لأكبر عدد ممكن من الأدباء الذين كتبوا في هذا الفن ، وبالضرورة يكون هـــذا بعد التأكد من صحتها ومن صحة نسبتها الى قائليها ٠

٢ ـ ترتيب هذه النصوص ترتيبا تاريخيا ، مع محاولة التعرف على خصائصها في كل مرحلة أو طور ٠

٣ ـ جمع آراء النقاد فيها والاستهداء بهذه الآراء بعد العكوف على دراستها والتأنى في الخروج من هـــذه الدراســـة بآراء مثرية للعلم والأدب عموما، ولهذا الفن على وجه الخصوص ٠

٤ ـ التعرف من خلال هذه الدراسة على نوع العلاقة بين هـــذا الفن والحياة وذلك بالعناية بالاجتمـــاع ونظمه وآدابه ، اذ الاجتماع البشرى في كل عصر تنعكس صورته بصدق في الفنون الأدبيـــة ٠

٥ ـ التعرف على مـــدى تأثير هـــذا الفن من الأدب في الحيـــاة والمجتمع في هذا الفن من الفنون الأدبية ٠

ولابـــد أن نشـــير هنـــا الى بعض المخـــاطر التى تحيط بالمنهج التاريخى ، هذه المخاطر ٠٠ من أبرزها أمور ثلاثة ، هي في الحـــق مخاطر العمل العلمي في كل مجال من مجالاته وهي :

١ ـ الاستقراء الناقص :

بمعنى عدم الاحاطة بالظروف والملابسات ، وعدم التتبع الدقيق للنص الأدبي وصـــاحبه ، وذلك كالاعتمـــاد عـــلى الحوادث البـــارزة

والظواهر الفذة في حياة النص أو في حياة صاحبه ، وكالاعتماد على حادثة بعينها دون سواها ، فان ذلك من شأنه أن يوقع الدارس في خطأ اصدار أحكام غير صحيحة وغير دقيقة .

وان كان لابد من مثال للاستقراء الناقص فهو في كثير من كتب الأدب والنقد حين يصدر كاتب أو ناقد حكما على أدب عصر بأسره فالمقطوع به أنه لم يستوعب ظروف الأدب وملابساته في العصر كله اذ أن ذلك يحتاج الى جهود مئات العلماء في عدد غير قليل من السنين .

٢ ـ الأحكام القاطعة أو الجازمة :

بمعنى أن يجرؤ الكاتب أو الناقد على أن يصدر أحكامه في المسائل الأدبية بصورة قاطعة جازمة كأنها التحليل الأخير أو الرأى الذى لا يقبل جدلا ولا نقاشا ، لأن من المسلم به بين العلماء أن القطع والجزم وادعاء الاحاطة غير مقبول وغير صحيح .

والأفضل أن يصدر الكتاب والنقاد أحكامهم في اطار من الظن والترجيح ، حتى لا يغلق الباب في وجه الدارسين من جانب وحتى لا يضع نفسه بهذا القطع والجزم في حرج من أمره عندما تكتشف مستندات تاريخية تقلب حكمه رأسا على عقب .

وان كان لابد من مثال لتلك الأحكام القاطعة ـ وهى غير صحيحة ـ قول بعضهم :

عزلة الحجاز عن السياسة هي التي أدت الى شيوع الغزل فيه ، أو قولهم : اتساع نفوذ الفرس هو الذى أدى الى ايجاد شعر المجون والخمريات « أو قولهم : ان كثرة الجوارى كانت سببا في شيوع الغناء » الى غير ذلك من الأحكام التي تنهار عند قليل من التأمل والتعمق .

٣ ـ التعميم العـــلمي :

بمعنى أن يصدر الكاتب أو النـــاقد أحكاما تعميمية على نسق ما لجأ اليه علماء الأحياء في الحـديث عن حقـــائق الطبيعة على النحو الذى تبناه أصحاب مذهب النشوء والارتقاء ، فهم قد أصدروا هـــذه الأحكام التعميمية دون علم أو احاطة كاملين بحقيقـــة الخلية الحيـــة وخصـــــائصها ٠

وسحب هذا المذهب في التعميم من العـــلم الى الأدب خطـــأ فادح لاختلاف طبيعة الأدب عن طبيعة العلم من جانب ، ولما يوحي به التعميم من مجازفات ونظرات غائمة من جانب آخر ٠

٤ ـ المنهج المتكامل

وهو منهج ـ كما يفهم من اسمه ـ يقوم على الأخذ بسائر المناهج التى تحدثنا عنها آنفا ، يستعين بالمنهج الفنى الذى يقوم في الحقيقة على مناهج ثلاثة هى التأثرى والتقريرى والذوقى ـ الجمالى ـ ويستعين بالمنهج النفسى فيأخذ منه بهذه الملاحظات النفسية ومالها من دلالات مفيدة ٠

تلك صورة مجملة للمنهج المتكامل ٠

أما تفصيل الحديث في المنهج المتكامل ، فهو ما ذكرناه في المناهج الثلاثة السابقة : المنهج الفنى والمنهج التاريخى والمنهج النفسى ، ولا نجد داعيا لاعادته ٠

غير أنه من تمام صورة المنهج المتكامل أن نشير الى بعض خصائص يتميز بها عن كل منهج من تلك المناهج على حدة ، ومن أهم هذه الخصائص ما نذكره الآن :

أولا :

المنهج المتكامل لا ينظر الى الانتاج الأدبى على أنه افراز للبيئة العامة بالدرجة الأولى ولكنه افراز للأديب ، والأديب متأثر في الغالب الأعم ببيئته ، ويرتفع قدر الأديب كلما استطاع أن يعبر عن أشواق انسانية لا ترتبط ببيئته وحدها وانما ترتبط بالجنس البشرى كله، ولا يستطيع الأديب أن يصل الى هذا المستوى الا ان كان ذا حس بهذا الكون كله وذا اهتمام بكبريات المسائل التى تصل الانسان بالكون الكبير مثل الغيب والقدر والمثل والفضائل والرذائل ، وتلك مسائل لا تتعلق ببيئة بعينها ولا بزمان بعينه ولا بعوامل تاريخية معينة ٠

ثانيا :

المنهج المتكامل لا يتجاهل القيم الشعورية ولا القيم التعبيرية في الأثر الأدبى وانما يأخذها في اعتباره ، ويقيس جودة الاثر الادبى أو رداءته بمقاييسها ، وهى مقاييس فنية جيدة ٠

ثالثـــا :

المنهج المتكامل لا ينظر الى الانتاج الأدبى على أنه افراز لعوامل نفسية محددة البواعث معروفة العلل ، وانما ينظر اليه على أنه نتاج النفس البشرية بكـل ما أودعهـا الله من قـدرات وما هيأه لهـا من استعدادات النفس البشرية التى تعد من أكبر العوامل التى خلقهـا الله ومن أغنـــاها ٠

رابعـــا :

المنهج المتكامل وان كان تعامله الأساسى مع العمـل الأدبى في ذاته الا أنه لا يغفـل الجوانب الأخرى التى تسهم في العمـل الأدبى وتؤثر فيه دون شك ، مثل علاقة العمل الأدبى بنفسية صاحبه ، وأثر البيئة في صـاحب العمـل الأدبى ، فهو منهج يجمع في خطواته معظم ايجابيات المناهج التى تحدثنا عنها ، ويتجنب في خطواته أكثر سلبيات تلك المنـاهج ، ومن ثم كانت تسميته « والمنهـج المتكامـل » تسمية مناسبة حقـا(١) ٠

وما أحب أن أترك الحديث عن مناهج تحليل النص الأدبى دون أن أتحـدث عن منهج أدبى في تحليـل النص الأدبى ، وذلك لأمرين الأول منهما أن ننظر فيه ونفيد منه ، والثـانى أن نعلق على بعض ما جـــاء فيـــه ٠

---

(١) أفدت في الحديث عن المنهج النفسى والمنهج المتكامل من كتـاب : **النقـد الأدبى** أصوله ومناهجه للمرحوم الشهيد سيد قطب ٠

المراجع:

١ – البحث الأدبي " طبيعته – مناهجه – أصوله – مصادره " – د/ شوقي ضيف.

٢ – مناهج البحث العلمي – د/ عبد الرحمن بدوي.

٣ – منهج البحث الأدبي – د / علي جواد الطاهر.

٤ – منهج البحث في الأدب واللغة – لانسون ومابيه – نقله إلى العربية د/ محمد مندور، وهو ملحق لكتابه: النقد المنهجي عند العرب.

٥ – منهجية إعداد البحث العلمي – د / غازي عناية.

٦ – النصوص الأدبية – تحليلها ونقدها د / علي عبد الحليم محمود.